## «لا وعي النص في روايات الطيب صالح» لحسن المود:

# قراءة نقدية من منظور التحليل النفسي

المغرب ـ «القدس العربي»
ـ من عبدالحق ميفراني:

صدر للناقد والباحث المغربي حسن المودن كتاب «لا وعي النص في روايات الطيب صالح / قراءة من منظور التحليل النفسي» والكتاب في الأصل رسالة جامعية قدمها الباحث ونال بها دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط.

الطبعة الأولى لهذه الدراسات النقدية والتي قدم لها الدكتور محمد برادة تكتسي» أهمية بالغة في الحقل النقدي العربي» لا لأنها اشتغلت على نصوص الطيب صالح ولكن، وكما يؤكد الكاتب المغربي محمد برادة أن أهميتها في «المغامرة التي خاضها الباحث المجتهد حسن المودن، مجربا منهجا ينحدر من صلب التحليل النفساني الفرويدي...ذلك أن تصورات وتطبيقات الناقد الفرنسي جان بيلمان ـ نويل فتحت الطريق ليصبح النص الأدبي هو بؤرة التحليل باعتباره يتوفر على لا وعي يخصصه ويكشف جوانب المسكوت عنه وسط السياقات التي واكبت إنتاج النص وجعلته محفلا معبرا يتصادى مع نصوص وتجارب وأحداث أخرى».

وتبقى أهمية القراءة التي يقترحها الناقد حسن المودن» قد استطاعت أن تكشف لنا أبعادا أخرى غير التي درج النقاد على إبرازها وذلك أن هذا المنهج يقر بأن النص، في محمولاته اللاواعية يوسع آفاق القراءة والتأويل ويحرر الكتابة من مقاصد التشخيص والتوصيف ليربطها بمجالات الكينونة القائمة على التضاد والانقسام والتعدد والتذويت والغيرية والايروسية والرغبة في الموت والحياة».

الكتاب يضم أقساما ثلاثة ويمهد الباحث لكل قسم بتحديد منهجي، لكن تبقى المقدمة النظرية للكتاب تلخيصا شموليا لمبادىء الاشتغال إذ فيها يحدد الباحث فرضيات مناهج حدود وآفاق التحليل النفسي للأدب مجيبا على سؤال:

لماذا بالضبط موضوع المقاربات النفسانية؟

لذلك يحدد الباحث علاقة التحليل النفسي بالأدب بتحديد وتدقيق طرفي هذه الثنائية، علاقة فرويد بالأدب والتي انطلقت من خلال قراءاته لشكسبير في سن الثامنة من عمره، التحليل النفسي للمؤلف من خلال مقاربات النقد البيوغرافي والنقد النفسي عند شارل مورون، وفي التحليل النفسي للنص ندرك لما انحاز جان بيلمان ـ نويل إلى النص، الى التخييل، أما التحليل النفسي للقارىء فهو آخر تيار نقدي نفساني تتناوله مقدمة الكتاب ويؤكد خلالها الباحث «بضرورة تأسيس مقاربة نفسانية تجمع بين التحليل النفساني والنظريات النصية».

الجزء الثاني من التقديم خصه الباحث لمنهج البحث وموضوعه وفصوله وفيه يشير الى اعتماد البحث على منهج التحليل النصي أي التحليل النفسي للنص بمفهومه الجديد، روايات الطيب صالح الثلاث:

* موسم الهجرة إلى الشمال
* عرس الزين
* بندر شاه ـ جزأين ـ

هم موضوع البحث والذي قارب من منظور التحليل النفسي.

القسم الأول من الكتاب» موسم الهجرة الى الشمال أو ما بين الامتلاك والإخصاب «ضم ثلاثة فصول الأول مهد له الباحث بالإشارة الى قوة النص وتنازع القراءات وفيه يتحدث الكاتب عن تركيب القصة، الكتابة السردية بمبادىء جديدة، نحو محكي بوضع اعتباري إشكالي.

في الفصل الثاني يحدد الباحث أنماط تشخيص الحياة الداخلية من خلال المحكي النفسي / من المحكي الى المونولوج. أما الفصل الثالث الموسوم بـ«النص والرغبة أو النص بين الامتلاك والإخصاب ففيه» كشف عن كينونة تفصح عن شكوكها وتمزقاتها.

القسم الثاني خصه الباحث لرواية بندر شاه أو بلاغة اللاوعي، وفيه تحديد مفاهيمي أساسي للدخول الى الفصل الأول مظهرية النص }وصف النص {من خلال :

* التناص
* الصوغ الحواري للذات والخطاب والتخييل
* التذويت
* التكثيف

وفصل ثان التحويل في النص (تأويل النص).

يحدد الباحث في الفصل الأول سؤاله : كيف يعمل اللاوعي في الجمالي ؟ ليصف نصا ظل هو الآخر يبحث عن جواب لسؤال افتراضي: ماذا حدث؟ أما في الفصل الثاني ففيه تحديد لمعنى النص الأوديبي (نص ما بعد الحداثة).

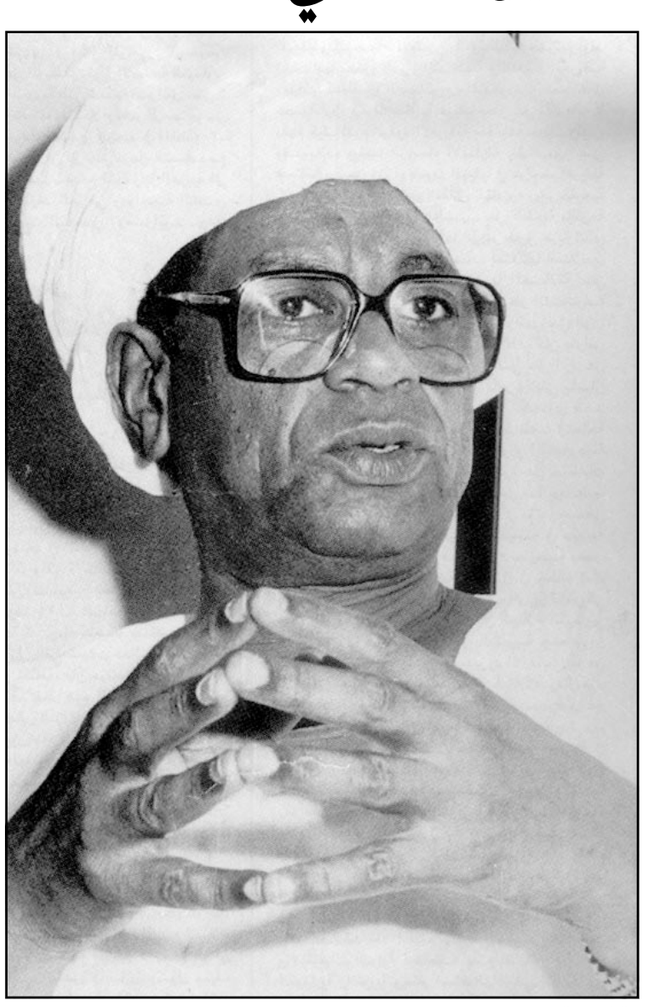

الطيب صالح

القسم الثالث من الكتاب خصه الباحث لعرس الزين : السرد والايروس وفيه معالم المحكي الواقعي الجديد، ولفهم خصوبة العوالم الروائية التي تفتحها نوافذ المحكي عند الطيب صالح يشير حسن المودن الى أن النص الروائي «عند الطيب صالح يمتلك قوة لا محدودة تمكنه من التحرك في الزمان مثلما تمكنه من قابلة لا نهائية للقراءة والتأويل وذلك يعني أننا يصدد تحول في مفهوم الأدب أقرب ما يكون من مفهوم اللاوعي بالمعنى الما بعد بنيوي».

وتجر الإشارة الى أن الكتاب يقع في 398 صفحة صدر عن المطبعة الوراقة الوطنية بمراكش وللباحث إصدارات عديدة أهمها: «التحليل النفسي والأدب» صدر عن المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة وهو كتاب مترجم وأيضا «الكتابة والتحول» صدر عن منشورات اتحاد كتاب المغرب.

# من هو صاحب المقال عن مسرحية «العدادة»؟

حسن النواب*

■ قبل يومين طالعت صفحة آداب وفنون من جريدة «الحياة» .. وتحديدا بتأريخ 19 ـ آب .. من هذا العام طبعا .. وسعدت لما كتبه صديقي الشاعر صلاح حسن عن مسرحية «العدادة» لمؤلفها و مخرجها صديقي الفنان المسرحي المبدع حازم كمال الدين الذي فارقته منذ عام 1975 .. بعد أن اشتركنا سوية في مسرحية بعنوان «سهرة مع أبي خليل القباني» في مدينتنا كربلاء .. والمسرحية كانت حينها من إنتاج بيت الثقافة العمالي ..

وكان يقوم بإخراجها الفنان الديواني حسن الفؤادي .. مازلت أذكر صديقي حازم الذي أسند له دور المنادي في المسرحية .. ومن ثم دور أحمد بن خليل القباني .. وقد كان حينها نحيفا كبردية جنوبية .. لم تسعفه حياته المادية حتى لشراء دخان السجائر مثل الناس .. فكان يدخن (ضلوع الملة) .. متباهيا بفاقته أمام الأثرياء .. وحازم من عائلة معروفة في كربلاء .. وجميع أخوانه يمتهنون الفن المسرحي والموسيقي .. وهل ننسى طلال .. وثقافته الموسيقية العالية .. ومحاولاته المتجددة في كتابة القصة القصيرة .. ولذا كنت سعيدا بما كتبه صديقي هو الآخر الشاعر صلاح حسن عن المسرحية.

وإعتزازا بتلك المقالة حرصت على طبعها والأحتفاظ بها .. وبتأريخ 21ـ آب من هذا العام طبعا .. قرأت ذات المقالة في جريدة «القدس العربي» وفي صفحة أدب وفنون (الصفحة 13) ولكن بتوقيع آخر هو كارولين باسان .. المقالة لم يتغير منها سوى إضافة الهمزه لمفردة واحدة .. كان صلاح أكثر لياقة عندما حذفها من المفردة التي هي .. (الخراء) .. وعفوا من القراء ولكن الضرورة دعتني لذلك .. فلقد رفع الهمزة من المفردة بينما الكاتبة كارولين كونها إمرأة غربية .. عمدت الى وضع المفردة كما هي .. وهذا هو الأختلاف الوحيد بين المقالتين .. أضف الى ذلك طبعا إختلاف مانشيت المقالتين .. حيث كتب صديقنا صلاح (العادة تخشى عودة الديكتاتور المخلوع) بينما السيدة كارولين كان عنوانها في القدس العربي (رؤية للحرب قبل إندلاعها عبر طقس الحكي والندب) .. لا أكتمكم أن المقالة مهمة .. فلقد توافرت على مستويات بارعة من مستلزمات العروض النقدية .. ولذا ظلت في ذاكرتي .. وهنا أضع السؤال ترى من كتب هذه المقالة المهمة شاعرنا وصديقنا صلاح حسن .. أم السيدة كارولين باسان .. ومن الأحق بإستلام مكافأة المقالة شاعرنا أم سيدتنا الغربية ..؟

إنها سرقة غبية بوضح النهار .. ولكن ترى من سرق من ؟.. هذا هو السؤال الذي أنتظر من يهمهم الأمر الأجابة عنه .. واعجبي .. وحزني على الأثنين ...

.. ولكن يبقى حزني الأكثر على شاعرنا صلاح.. وآه ...

* شاعر من العراق يقيم في أستراليا

# مجلة «تايكي» الثقافية: عدد خاص بالفكر النسوي

عمان ـ «القدس العربي»:

عن أمانة عمان الكبرى صدر العدد الثاني عشر من مجلة «تايكي» التي تعنى بالإبداع النسوي، وتصدر كل شهرين مرة، وقد جاء العدد حافلا بالمواد الابداعية والمقالات والدراسات وقد أفتتح العدد بمحور خاص عن الإبداع النسوي وقد شارك فيه كل من: د. محمد عبيد الله «المرأة والمعرفة في التراث العربي»، فريدة الأنصاري «زينب فواز رائدة من أعلام النهضة العربية الحديثة»، د. حنان إبراهيم «مساهمة النساء في تطوير مناهج الفكر: قراءة في المنهج النسوي»، حوار مع الكاتبة «نوال السعداوي» أجراه شريف صالح، حوار مع الكاتبة «حياة عطية» أجراه نضال برقان، رفقة دودين «التأسيس لفكر نسوي: تجربة فاطمة المرنيسي اختيارا»، نزيه أبو نضال «لطيفة الزيات ..المرأة / الوطن»، جاسم عاصي «بديعة أمين: رحلة النص بين الجمال والفكر» د. وفيق السليطين «خطاب الأنوثة: تفكيك المطلق ونقض جوهر الهوية»، سليم النجار «المرأة والأيدولوجيا: ذاكرة القهر وعولمة الأنوثة»، خديجة حباشنة «وعي الذات ..وعي الكينونة»، فاروق القاضي «روزا لوكسمبورغ متمردة عظيمة»، سلطان الزغول «غارودي في كتابه «مستقبل المرأة: تأنيث المجتمع يسمو بقيمه الروحية والانسانية»، طارق الفرح «رائدات ومواقف: سيرة مفكرات عربيات»، ثريا صالح «بيبلوغرافيا المفكرات العربيات»، ناجح المعموري «أسطورة الأم الكبرى»، عدنان مدانات «الفيلم التونسي: الساتان الأحمر: انعكاسات صورة حريم الشرق في الوعي الغربي»، ناجح حسن «الفيلم الفرنسي جان دارك : صورة إنسانية جريئة للبطلة الأسطورية»، مكتبة تايكي ـ إصدارت حديثة من عرض هيا صالح، أميمة الناصر، د. سليمان الأزرعي، رسمي الجراح «أعمال الفوتغرافية دانة خريس: رحلة الدهشة والأسرار، عبد محمد بركو «أزياء وأدوات زينة المرأة الشامية في الأغاني الشعبية»، مي صايغ «زيارة ـ قصيدة»، وفي باب الأدب الأجنبي هناك قصة لماكس غارلاند بعنوان «قراءة كف» من ترجمة غيداء علي محمد، وقصة قصيرة للقاصة العراقية المقيمة في عمان هدية حسين بعنوان «من أجل قطرة دم»، وحوار مترجم من الفرنسية مع روزيتالوا أجراه فابيو غمبارو وترجمه مدني قصري عن مجلة الأدب الفرنسي «ماغازين ليتيرير»، وكتب حكمت النوايسة في آخر العدد عن «نساء في القصائد : الرمز والجسد رأي في نساء الغزل»، وكتب هزاع البراري عن «حواء وطن في منفى الذات»، واختتمت جميلة العمايرة عضو هيئة تحرير «تايكي» بنص أدبي بعنوان «حين تضاء الجهات» ومما جاء فيه: الكتابة هي التي تعيد ألق روحي بعد أن تحصنها ضد الخراب والعفن والانكسار، الكتابة هي التي تدعني أصبح أقوى في مواجهة ما يقع خارج الذات، مرات عديدة كنت أسأل نفسي وأنا أرى الجميع يبتعدون غافلين عني : لماذا أنا أمام ورقة بيضاء تثيرني ضد نفسي مع قلب يكشف أحيانا زيف الآخرين وخياناتهم المستمرة، وطيبتهم التي بلا حدود أحيانا أخرى ؟؟ ثم اكتشفت أنني وأنا أفعل هذا، إنما كنت أبحث عني، عما هو جوهري في داخلي، وعما هو دفين لأكون متوازنة أمام نفسي والآخر : أمام اهتزازات روحي من أن تنطفأ أو تذبل، أو تترمد أمام كل ما يحدث.

الكتابة تغيير ..الكتابة تحليل وجنوح نحو فضاءات ودروب لم تكتشف بعد وسعي لخلق أدوات تحمل في داخلها حسا مغايرا يتوق إلى الأجمل والأبقى ..!!

# تحت قدمي تمثال بيتهوفن

عباس خضر*

بيتهوفن !
غرابٌ على رأسكَ
وأعقابُ سجائرٍ تحتَ قدميكَ
شمسٌ تعرّي المصاطبَ
للسيدات :
«السيدات اللواتي
يذهبن و يأتين
ويتحدثن عن
فزعي»
طيورٌ على الإسفلتِ
وأنا مسافةُ وجهٍ
بين أعقابِ
السجائرِ
كـ «الراين»
أمرُّ ولا غراب لي
كي أقفَ قُدماً
في الريحِ

بيتهوفن!
أيّها الوحيدُ
لا دخلَ للغيومِ بنا
مغضوباً عليَّ كالملائكةِ النيازكِ
سقطتُ على الأرضِ
مسافةَ قارةٍ تحتَ قدميكَ
كـ«ميشيل انجلو»
النسوةُ يأتين ويذهبن
ويتحدثن عن غرابٍ على رأسكَ
لا رأسي
وعن فزعي
بين أعقابِ السجائرِ.

بون 10/7/2003

* شاعر من العراق يقيم في ألمانيا

# من اوراق كُثيّر عزة

د. خالد الكركي*

تحملتُ من عفراء ما ليس لي به
ولا للجبال الراسيات يدانِ
جعلت لعرّاف اليمامة حكمهُ
وعرّاف نجد انْ هُما شفياني
نعم وبلى قالا: متى كنتَ هكذا
ليستخبراني، قلتُ: منذ زمان
فما تركا من رقية يعلمانها
ولا سلوة الا وقد سقياني
وقالا: شفاكَ الله، وَالله مالنا
بما حملتْ منكَ الضلوعُ يُدانِ

(عروة بن حزام)

أنا كُثيّر بن عبد الرحمن،
او اختاروا لي اسما غيره، فقد عرفني الناس بكنيتي «أبو صخر»، ولكن لا تغيروا
المسمى الذي أحب «كُثيّر عزّة»!

عزة... ويصعد النداء بين مدى القيد ومدى الحرية الى عنان السماء!

عزة... ويكون رحيل الشعر بين الحجاز والشام ومصر، وهي غائبة وراء غيم الزمان البعيد...

عزة، وقومنا يمدون رماحهم عبر الدروب الى بلاد الروم،

ويجتازون الى بحر الظلمات، وسهوب آسيا...

لكننا، هي وأنا غريبان مقيدان...

عزة ايها الناس، هي التي اتوجه الى ضريحها في دمشق، اسكب عليه ورد الروح، ودم القصيد، واقرأ لها آيات الصبر عند رنة الصهيل في الضحى، واخبرها ان الشباب ولى، والأسى توطن، والصحراء يرفرف فوقها الموت، وما من احد يقول للظالمين الذين يذبحون الحب والحرية: توقفوا عن غيكم، وانظروا الى الزمان وغواياته وتحولاته برؤى تصل بين الارض والنجوم!... انظروا قبل ان يعود الروم، او امم جاهلة، تذرو تربة اضرحتكم في مهب الرياح..!

انا كُثيّر بن عبد الرحمن، مواطن مغرور، مات أبي فخدمت عميّ الذي اشترى لي قطيعا من الانعام، وردت على الماء ذات مساء فعرضت لي عزة، أرشدتني الى الطريق.. كانت حلوة، «وما من امرأة تفوقها جمالا وحسنا وحلاوة»، ... كنا ما نزال في القرن الاول الهجري من عمر الدولة الجديدة العظيمة، ومثل قصص اصدقائنا العذريين امتد شعري فيها الى آفاق بعيدة فحرموني منها، ثم زوجوها، ورحلت مع قومها وزوجها الى مصر...

***

لهذه الاسباب، اعلن انا كُثيّر بن عبد الرحمن أنني اسمي نفسي كثّير عزة، وارتجل المستحيل حتى تعود اليّ، وأطلق صوتي صبابة وولها وجوى وعشقا الى ان تهدني الكهولة، وتحني الشيخوخة شموخي، ويهزمني الياس، ويموت الجمر بين كفيّ... آنذاك، سأقول لكم انها لا تشبه ايّ امرأة، وأقول لكم لا تصدقوا الروايات التي تقول ان فرصة قد جاءت للزواج منها بعد وفاة زوجها، لكن اجلها منع ذلك، ولا تصدقوا دخولها على عبد الملك الذي سألها: «ماذا كان اعجب كثيرا منك»، وجوابها «فوالله لقد كنت في عهده احسن من النار في الليلة القرة...»! ولكن صدقوا حكاية واحدة تقول ان عزة وقفت عليّ وأنا ابري اسهما ليّ، فجعلت ـ انبهارا بها ـ ابري عظامي، فدخلت عليّ ومسحت الدم بثوبها ... ثم صدقوا أنها رحلت، لقد غابت وبقيت أنا، ...

وقد كنتُ أبكي من فراقك حبة
فأنت لعمري اليوم أناي وانزحُ.

***

عزة
«تذكرتُ الصبا واشتقتُ لما...»
وتذكرت،
تغريبة الروح بين مصر والحجاز،
ووطنا من غيم وحنين،
وصباحا من الاسى
ودم الزعفران!
وقهوة ممزوجة بالمواجع،
ونارا طالعة من جمر الغضاب،
فيا حادي العيس عرّج،
فقد، تطاول ليل الصبابة
واشتاقت الصحراء مطرا يملأ شعابها
غيما وقصائد

المدى غربة
وصبا نجد مورق بالحكايات،
وأنت بعيدة،
وأنا
«هواي مع الركب اليمانيين مصعد»،
أعد المطايا،
واكتب اسمك على الرمل والشيح والنخل،
فعودي،
فقد طال هذا النوى.

عزة،
اما وجلال الله لو تذكرينني
كذكريك ما كفكفتُ للعين مدمعا
وفي بابَ التذكر اقول أنني التقيت جميل بثينة، وأنت تعرفين أنني راوية شعره، كما كان هو راوية هدبه، وقد طلب اليّ ان اكون رسوله الى بثينة، ففعلت... فهل تحبين بثينة لأنها معشوقة مثلك! اظنك لا تسمعين هذا الذي اقول، ولا تقرأين اخبار هذا الغياب القاتل، فمنذ ايام رحل صديقي خندق الاسدي، وقد اطلقت في وداعه قصيدة /وردة/، لقد عز عليّ فراقه، وسيظل من القصيدة صدى مبهم حزين، ويظل بيت واحد الى آخر الزمان، هو صرختي الاخيرة فيها:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيا
ولكنْ لا حياة لمن تنادي

وهل بعد هذا الحزن عليكما حزن! وهل تكون سلوة يا عزة... وهل يقعدني الاسى عن الرحيل «والمشى اليك قريب»!

لقد جاؤوا بخرزة السلوان ونقعوها في الماء، وسقوني حتى أنسى حبك... فقلت لهم: هذه حكاية قديمة، واسمعوا ما قال عروة عن عراف نجد وعراف اليمامة:

فما تركا من رقية يعلمانها
ولا سَلوة الا وقد سقياني

وما قاله جرير:

يا ليت ذا القلب لاقى من يعلله
او ساقيا فسقاه اليوم سلوانا

واقول لك ان في النفس حاجة اود ان ابثك اياها، ولها «بين جلدي والعظام دبيب»، وأنا ـ كما تعرفين ـ متبول بك ومعجب، وتلك هي علامات الوصول اليك، وقد رأيتها واصحابي، انها النجم الذي لاح بأيلة موهنا، والنار التي لا تنطفئ وقد بدت لنا كأنها كوكب، وجنوب تسامي اوجه الركب «مسها لذيذ، ومسراها من الارض طيب»... وهل قرأت امنيتي التي رأوها عجيبة غريبة...

وهَل عليّ ان انتظر رأي الناس فيكِ وفي شعري الذي لولاك ما كان... انني هارب من الناس ولا ارى غيرك، لذلك اقول:

ألا ليتنا يا عز كنا لذي غنى
بعيرين نرعى في الخلاء ونعزبُ
اذا ما وردنا منهلا صاح اهلهُ
علينا فما ننفكُ نرمي ونضربُ
يطردنا الرعيانُ عن كل تلعة
ويمنع منا ان نرى فيه نشربُ

ذاك زمان بعيد وبخيل، وها قد تولى شبابي، وارجحن شبابك، وأنا مثل المرتجى ماء بقفراء سبب: يغر به من حيث عنّ سرابُها»!

***

عزة،
الدروب الى مصرَ تنأى،
وفي الشام حزن عتيق يهيج وجدي،
فهل بعد هذا الأسى موعد للحنين،
وهل حين ارحلُ، تخضر هذي الشجيراتُ بعدي!
سأكتمَ حبك...
لا شعرَ... لا جمرَ... لا صوتَ
خوفَ القوافل تحملهُ للرياح التي سوف تحكي وتبدي
فوالله ما غير الدهر مني،
واني،
اذا مر طيفك بين ثنايا الصبا
سوف اصحو،
أراني، وقد طاف بي وجهُك العذبُ،
اغفو على حلم فيه املكُ
حبكِ وحدي.

***

هذا أنا،
كثّير بن عبد الرحمن،
جدي ـ كما تعرفين ـ هو الشنفرى، سيد التحول، الى انسانية جديدة، واهل مختلفين «لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جر يخذل»،
وعمتي نخلة عند شاطئ الفرات، فقد علمتنا الحكايات ان النخلة عمة العرب...، اما ابن عمي فهو طرفةُ بن العبد الذي ابدت له الايام ما كان غير عارف به... وأخي في الشعر هو الصمة بن عبد الله الذي علمني وجع الحنين اليك، وكم تمنيت لو انني أنا من قال:

وليست عشياتُ الحمى براوجع
عليكَ ولكنْ خل عينيكَ تدمعا
.. واذكرَ ايامَ الحمى ثم انثني
على كبدي من خشية ان تصدعا

لقد هاجت بي «بنات الشوق»، ونوازع الحنين منذ ان انشد الصمّة قصيدته، وسامح الله عبد الله ابن الدمينة يوم صاح «متى تعرفُ الاطلالَ عينكَ تدمعُ»، لهذا كله اكتب اليك قصيدتي الجديدة وكأني انادي عليهما.

خليليّ هذا ربعُ عزة فاعقلا
قلوصيكما ثم ابكيا حيثُ حلتِ

واصيح في القوافل والليل ان النوى يوقد في كبدي نارا، وان صبابتي قد ازداد جمرها، وكأن «أبا صخر» الهذلي ينادي عليّ من وجده على صاحبته:

لقد تركتني احسدُ الوحش ان ارى
أليفين منها لا يروعهما الذعرُ

ولم يقل ليّ القلب بعد رحيلك مرة واحدة «تمتع من شميم عرار نجد»، فبعدك ما ظل في العمر فرح، ولا ظل في العشيات عرار...

قصيدتي ايتها الغالية نقش على باب الحزن الكبير حيث كان، وقد عاتبني صاحبي امس على مرارة الحزن فيها، وبكى حين سمعني انشد:

وما كنتُ ادري قبل عزة ما البكا
ولا موجعات القلب حتى تولت
وناشدني بالله ان اصمت، لكنني رأيتك خلف حجاب الغيب حزينة، فقلت لك: يا عزة «كل مصيبة اذا وطنتْ يوما لها النفس ذلت»، وناديت:

وأنّي وتهيامي بعزة بعدما
تخليتُ مما بيننا وتخلت
كالمرتجي ظل الغمامة كلما
تبوأ منها للمقيل اضمحلت
كاني واياها سحابة محملَ
رجاها فلما جاوزته استهلت

***

عزة،
اقول قد طال النوى،
«وعهدُ النوى عند المحب ذميمُ»،
وها أنا راء سحابة تأتي من نحو مصر،
فقد يكون فيها خبر عن عهد قديم،
وها أنا احسد ابن الملوح على قصيدته في ليلى، واستعيدها، واخبئها في حنايا الروح، واسمع صوته وهو يجهش، ويجيش:

ألا أيها الركبُ اليمانون عرجوا
علينا فقد امسى هوانا يمانيا
.. وددت على طيب الحياة لو انه
يزداد لليلى عمرُها من حياتيا

فاهتف وقد طلعت صورتك من حنايا الصدر: ألا ايها العاشق المتيم رفقا بنا، ثم لا تلبث قصيدتي ان تحضر فأهتف به من موجعات القلب:

ويا عزُ لو اشكو الذي قد اصابني
الى جبل صعب الذرى لانحنى ليا

هذا هو شعري، انا المتهم بأنني من اتيه الناس واذهبهم بنفسه على كل احد... انا الذي قال احدهم عني «اني لأروي لكثير ثلاثين قصيدة لو رقي بها مجنون لأفاق»!

لكنني اتمنى يا عزّ ان يذهب هذا كله: الشعر، والتيه، والمجد، وان تطلي عليّ ساعة يقودني فيها الهوى، او كما قال جميل:

فيا ليتني اعمى اصمُ تقودني
بثينة لا يخفى عليّ كلامُها

ها نحن يا عزّ، محرومون في العشق، منتصرون في الذبح والفتن، مهزومون اذ لا حرية مصونة، عناؤنا اسى، وجرحنا راعف، وحظنا منقوص... لقد تغيرنا يا عزّ حتى ونحن مندفعون الى الدنيا الجديدة، وتفرقنا شيعا وطوائف... لقد تغيرت الدنيا.. فلماذا تغضبين، ويحضر الظن في قلبك انتي تبدلت وانني غير صادق في هواي...

اسألك الرفق والمودة، وأقول لك: ان كنت قد تغيرت «فمنْ ذا الذي يا عز لا يتغيرُ»!

وسأظل كلما هم ركب بالرحيل أرى «الارض تطوى لي ويدنو بعيدُها»

عزة... اسمعي قول ابن الدُمينة:
«فلا تتركي نفسي شعاعا فانها
من الوجد قد كانت عليك تذوبُ
واني لاستحييك حتى كأنما
عليّ بظهر الغيب منكِ رقيبُ»

***

عزة،
هي الاماني التي تظل في الروح والقصيدة،
وهي الدهشة التي تورق فرحا حين يمر طيفك...
لقد اظلني زمانك الطيب العاشق،
واخرجني من قيد المديح، اعادني الى نفسي...
وها أنا كالصادي رأى ماءُ عز مورده،
ومثل الغريب الذي تاه خطوه،
وقد جئتك عاشقا ذات زمان، وقلت لك:
انني اراك وجها اصله الوضيء في الشمس، وطيبه عطر الصباح المورق بالندى، وسحره شذى «تشربه القلوب وتعلق»!
وقرأت عليك من شعر صاحبي جميل:
وقد خفتُ ان ألقى المنية بغتة
وفي النفس حاجاتٌ اليك كما هيا
اقول لك قبل ان تنشب المَنية اظفارها بنا، «اصاب الردّى من كان يهوى لك الردي»، وأرجو ان تظل الاماني شرعاً مهما نأى المكان وتغير الزمان...
يا عزة... هذا هو صوتي الاخير فاسمعيه نداء يمتد صداه الى اعماق ضريحك في دمشق:
اقولُ ونضوي واقف عند رمسها
عليكِ سلامُ الله والعينُ تسفحُ.

* ناقد وأكاديمي من الاردن